اشتراكية اشتراكية ولا طعام

كنا في حاجة إلى شيء ما . فالكارثة التي لحقت بنا، كانت أكبر مما كنا نتوقـع أو نتخيـل! أحسسنا- فجأة – كأننا نعيش وحدنا فوق سطح الكرة الأرضية! أحسسنا كأننا بـلا أصـدقاء، وبلا أصحاب! ازداد عدد الأعداء من حولنا وتعاظم حجم الشماتة في هزيمتنا! وفجأة ... دخل علينا الرئيس تيتو فبددت زيارته الكثير من اليأس الذي كان يمزق قلوبنا! جاء مواسيا ومؤيدا ومتفهما كأحسن ما يكون الصديق الكريم.

وكانت سعادتي بزيارة تيتو تعادل سعادة الرجل الذي تمزقت ملابسه وأصبحت بالية فجاء من يحمل له ملابس الدنيا كلها ليغطي بها جسده العاري!

عندما سخر تيتو من السوفييت:

اشتراكية ... اشتراكية.. ولا طعام...!

توفى *عبد الناصر يوم ٢٨* سبتمبر سنة ١٩٧٠. في هذا اليوم كان الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون يزور أسطوله السادس في حوض البحر المتوسط. وكان الأسطول يقـوم- وقتهـا- بأكبر مناورات بحرية.

وإذا رجعنا إلى الصحف الصادرة في تلك الأيام ، فسنقرأ فيها تصريحات غريبة واعتبرتهـا مصر معادية لها، وغير لائقة أو مقبولة:

وقتها كانت العلاقات بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية، سيئة جدا ولم يكن هذا بالجديدة ولا بالمستغرب فالعلاقات المصرية الأمريكية ازداد تدهورها بعـد هزيمـة يونيـو ١٩٦٧. وكشف كل جانب عن كراهيته للجانب الآخر. مصر اتهمت أمريكـا بأنهـا وراء إسـرائيل، بالأسلحة التي تزودها بها، وأمريكا اتهمت مصر بأنها فريسـة للاتحـاد السـوفتي، وتهـدد المصالح الأمريكية في المنطقة.

وقام نيكسون بزيارة الأسطول السادس الأمريكي في البحر المتوسط...

كانت عملية استعراض عضلات لا أكثر ولا أقل. فلا الاتحاد السوفيتي كان يسـتعد لضـرب الأمريكي ، ولا أي بلد في منطقة حوض البحر المتوسط كـان يخطـط لضـرب المصـالح الأمريكية. بل على العكس من ذلك كانت إسرائيل- حليفة الولايات المتحدة الأمريكية الأولـى

في المنطقة- تعيش أجمل سنوات عمرها، بعد انتصار الكبير على الجيوش العربية، واحتلالها لمساحات شاسعة من أرض ثلاث دول عربية!

وكانت الولايات المتحدة تشارك إسرائيل أفراحها، وسعادتها. وكانت تهدد العرب بأنهـا لـن تسمح أبدا بهزيمة إسرائيل. وأنها على استعداد لدخول الحرب ضد أي دولة تهدد أمن وسلامة إسرائيل، حتى لو أدى هذا إلى نشوب الحرب العالمية الثالثة.!

وكانت الأمة العربية كلها تعيش أسوأ لحظات تاريخها. هزيمة قاسية لا قبل لشـعوبها بهـا، وشماتة مريرة من العالم كله في تلك الدول العربية جميعها التي لم تسـتطع أن تهـزم دولـة صغيرة، يقل جميعها التي لم تستطع أن تهزم دولة صغيرة، يقل عدد سكانها عن عدد سـكان عاصمة عربية متوسطة الحجم، وكنا- في مصر- أكثر شعوب الأمة العربية أحساسا بـالألم، والحسرة، والغم، والمرارة العربية ولعى الرغم من ذلك تعرضت لأفدح كارثة، وأبشع هزيمة في تاريخها القديم والحديث معا!

والذي كان يزيد من حجم الكارثة، وهول الهزيمة ، أن شماتة الأصدقاء أكثر إيلاما من شماتة الأعداء! وجاء وقت تصورنا أننا وحدنا في الساحة الدولية كلها. فلا نعرف من هو معنا، ولا من هو ضدنا، حتى الشعب المصري نفسه، لم يعد يصدق ما كنا نقوله له عن قوتنا العسكرية التي وصفت دائما بأنها أكبر قوة ضاربة في الشرق الأوسط، ليس هذا فقط بـل أن المـواطن المصري جاء عليه وقت لم يعد يصدق فيه أية كلمة تقال عن المعركة، وعن الثأر، وعن قرب الانتصار والانتقام! جاء وقت فقد فيه المواطن المصري كل آماله في الشعارات التـي كـان يرددها، وفي الأهداف التي كان ينتظر تحقيقها، وفي الانتصارات التي كان يتوقعها!

أصبحنا- فجأة- كالأيتام....

وفي هذه الأيام، وبالتحديد في يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠- كـان الـرئيس الأمريكـي ريتشـار نيكسون فوق سفينة القيادة الملحقة بالأسطول السادس الأمريكـي بـالقرب مـن شـواطئنا، وصدرت الصحف في أمريكا تقول" هذه **المناورة التي يقوم بها أسطولنا السادس، في البحر الأبيض هدفها أن يسمع عبد الناصر صوت مدافعنا وهي تدوي بالقرب منه!**"

منتهى الاستفزاز.. ومنتهى التحدي، لمشاعرنا كمصريين لم نستطع بعد أن نتخلص من هـول الكارثة التي لحقت بنا!

وقبل أن تبدأ المناورة البحرية الضخمة وقبل أن تنطلق المدافع التي أعلنت الصحافة الأمريكية عن رغبة أمريكا في أن يسمع جمال عبد الناصر دويها، وضجيجها، وقصفها، جاء من يحمل إلى نيكسون خبر في سطر واحد يقول" مات عبد الناصر منذ ساعة واحدة!"

ولم يصدق نيكسون الخبر، فور سماعه به. نفس الشيء فعلته جولد مـائير- رئيسـة وزراء إسرائيل وقتذاك – عندما بلغها نبأ وفاة عبد الناصر. كان ردها السريع تعليقا على النبأ، أنهـا رفضت تصديقه وقالت لمن جاءها به " كفاك سخافة!

ولكن الخبر كان صحيحا...

وكانت التأكيدات تتوالى على نيكسون من كل مكان، على الرغم من أن القاهرة لم تكـن قـد أذاعت الخبر حتى تلك اللحظة. فعلى الرغم من أن الهمس بوفاة عبد الناصـر بـدأ يتـردد، ويتناقل في القاهرة ابتداء من الساعة السابعة مساء، إلا أننا لم نعلنه رسميا إلا فـي السـاعة الحادية عشرة مساء، عندما توجهت إلى التليفزيون وأعلنت النبأ بنفسـي.. وكانـت وكـالات الأنباء، ومصادر السفارات الأجنبية قد أبرقت بالخبر إلى عواصمها ابتداء من الساعة السابعة مساء.

وهكذا وصل النبأ إلى نيكسون، وقبل لحظات من بدء أكبر مناورة بحرية استعد لها الأسطول السادس الأمريكي في البحر المتوسط البحرية، احتراما للزعيم المصري الكبير، وحفاظـا على مشاعر شعبه في هذا اليوم الحزين. وقرر نيكسون أن يطير على الفور إلـى بلجـراد، عاصمة يوغسلافيا، ليبدأ زيارته لها قبل موعدها المحدد من يوغسلافيا، ليبدأ زيارته لها قبـل موعدها المحدد من قبل. فقد كان نيكسون ينوي زيارة يوغسلافيا- زيـارة رسـمية- فـور الانتهاء من المناورة البحرية في البحر المتوسط، وعندما تقرر ألغاء تلك المنـاورة، طلـب نيكسون تقديم زياراته لبلجراد، ووافق الرئيس اليوغسلافي تيتيو على تقديم الزيارة، واسـتعد لاستقبال الرئيس الأمريكي.

وانشغل تيتو بزيارة نيكسون لبلاده، وهي زيارة على جانـب كبيـر مـن الأهميـة وكانـت يوغسلافيا، والعالم كلهن يتابعها، ويتوقع تطورات سياسية بالغة الأهمية نتيجة لها.

وكان هذا هو السبب في عدم حضور الرئيس تيتو إلى القاهرة، للاشتراك في تشـييع جنـازة صديقه العزيز جمال عبد الناصر!

ولا أخفي أنني صدمت في هذا الموقف من الرئيس تيتو فقد كنت أنتظر أن يطلب من نيكسون تأجيل لتوديع صديقه الراحل الوداع الأخير. ولم يكن في هذا الطلب أي أحراج لتيتو، وبالذات أمام نيكسون الذي ألغى برنامج المناورات البحرية بأكمله احتراما للراحل الكبير.

حقيقة لقد تألمت من تخلف تيتو عن الاشتراك في تشييع جنازة عبد الناصر، ومن المؤكد أنني لم أكن وحدي الذي أحتار في هذا التصرف من تيتو، خاصة ونحن جميعا كنا نعلم مدى حـب عبد الناصر لتيتو، والصداقة القوية التي ربطت بين الرجلين طوال السنوات البعيدة الماضية.

ولم يكن سرا أن عبد الناصر انبهر انبهارا شديدا بشخصية تيتو، وكفاحه الطويل مـن أجـل إسعاد شعبه. وتحرير بلاده. وكان من تأثير هذا الانبهار أن عبد الناصر نقل عن يوغسـلافيا نظامها الحزبي الفريد المعروف باتحاد الاشتراكيين، الذي جمع فيه تيتـو جميـع الأحـزاب السياسية ووحدها تحت قيادة الحزب الشيوعي اليوغسلافي، فجاء عبد الناصـر وجعـل مـن الاتحاد القومي صورة مصغرة من التنظيم السياسي في يوغسلافيا!

قلت أن أنبهار عبد الناصر بتيتو لم يكن سرا خافيا على الشعب المصري. بل **على العكس من ذلك كان المواطن المصري يعلق على ذلك فيقول في كل مرة يأتي فيها تيتو لزيارة القاهرة، أو يسافر فيها عبد الناصر إلى بلجراد:**

- **" يا ترى ماذا سيحدث في مصر بعد انتهاء تلك الزيارة !؟"**

فقد كان الإحساس المصري العام أن ما من قرار، أو تنظيم، اتخذ في مصر إلا وكان تيتـو مشتركا فيه بالرأي والتوجيه!

لهذه الأسباب كلها، أعود فأقول أنني لم أجد تفسيرا واحدا يبرر عدم حضـور تيتـو لتشـييع جنازة صديقه القديم جمال عبد الناصر ولم أستطع أن أجد له أي مبرر يمنعه من القيام بهـذا الواجب.

ولعل هذا هو الموقف الوحيد الذي لم أفهمه، ولم أتقبله، من الرئيس تيتو.

وما أكثر مواقف تيتو- الأخرى- التي لا يمكن أن أنساها. فهـي مواقـف لا تـأتي إلا مـن الزعماء الكبار. من القادة العالميين.

هناك الموقف الذي مازلت أتذكره. في كل مرة يأتي فيها ذكر الرئيس تيتو أمامي . حدث هذا الموقف في يوم ١٠ أغسطس سنة ١٩٦٧. أي بعد شهرين من الهزيمة القاسية التي لحقت بنا

على أيدى الإسرائيليين. في هذا اليوم جاء الرئيس تيتو لزيارتنا في مصر. لم تكن هناك أيـة ضرورة تحتم حضوره. ولم تكن هناك قضايا سياسية تهم البلدين وتتطلب لقاء وعبد الناصر. وعلى الرغم من ذلك أخطرنا تيتو برغبته في زيارتنا. ولم يحدد سببا لها. و

وركب تيتو الطراد" " غالب" الذي نقله إلى الإسكندرية...

وذهبنا لاستقباله...

و لا يتصور أحد كيف كان وقع تلك الزيارة في نفسي وفي نفوسنا جميعا لقد سعدنا به، وبزيارته، أعظم سعادة. كأننا كنا في إنتظارها دون أن ندري.. كأننا كنا نشعر بشىء ينقصنا، فجاء به الرئيس تيتو من تلقاء نفسه.

كنا نعيش في محنة. والألم يمزقنا. والهزيمة تقطع قلوبنا وتهزنا من الداخل هزا.. والأخطـر من هذا كله أننا بدأنا نتعامل مع أنفسنا كما لو كنا نعيش وحدنا فوق هذه الدنيا. أو على الأقـل نعيش وسط أناس يكرهوننا، فانعزلوا عنا، وانعزلنا عنهم!

حضور الرئيس اليوغسلافي تيتو، فعل بنا فعل السحر! ويمكن أن أفسر هذا المعنى بما يحدث عندنا في القرية المصرية... فعندما تصاب الأسرة الريفية بأزمة، أو بكارثة، يسـارع أهـل القرية بزيارة الأسرة المنكوبة لمواساتها، والتخفيف عنها.

نفس هذا الإحساس أحسست به فور وصول الرئيس تيتو. تصورت نفسي جالسا فـي بيتـي بقرية ميت أبو الكوم، أفكر في الكارثة التي وقعت فوق رؤوسنا جميعا، وفجأة يدخل علـى " تيتو" كأب كأخ كبير، كصديق عزيز، جاء يواسيني، ويخفف من الآمي، ويشـجعني، ويأخـذ بيدي يومها علقت لزملائي على موقف تيتو فقلت لهم أن يدري. لقد كنا أشبه فقد ملابسه كلها، ووقف يرتجف من البرد، والخجل، فجاء تيتو حامل اله ملابس الدنيا كلها!"

واحترنا في أمر تيتو. واحترت أنا أكثر عندما اتذكر اليوم هذا الموقف وأقارنه بموقفـه يـوم وفاة صديقه جمال عبد الناصر. في الموقف الأول ظهر تيتو كإنسان بمعنـى الكلمـة. ظهـر كرجل يعرف كيف يجامل أصحابه، ويقف إلى جانبهم في محنهم. وظهر أيضـا-وهـذا هـو المدهش- ككتلة من العواطف، التي تشبهه بنا، نحن أهل الشرق.

والموقف الثاني، يوم رحيل عبد الناصر، ظهر تيتو في صورة مختلفة. ظهر في صورته التي تصورنا أنها صورته الحقيقية، صورة رئيس الدولة الأوروبية، الذي يهتم بمصـالح بـلاده.

وشعبه، دون أي أعتبار عاطفي أو شخصي، وهذا ما فعله تماما تيتو عندما قدر أهمية زيـارة نيكسون لبلاده، وقرر البقاء في بلجراد ولم يلغ الزيارة، ويطير إلى القـاهرة للاشـتراك فـي تشييع جنازة صديقه عبد الناصر، كما كان يفعل غيره من الذين يعطـون أولويـة للعلاقـات الإنسانية، والشخصية، ولا أستطيع أن ألوم تيتو..

فمهما فعل، فإن زيارته لنا في العاشر من إغسـطس سـنة ١٩٦٧ تجعلنـا- وتجعلنـي أنـا شخصيا- أحب هذا الرجل وأعتز بمعرفته، وأذكره دائما بالخير. وعندما أمسكت اليوم بـالقلم لأكتب عن تيتو، دار أمامي شريط بأحداث زيارته التاريخية لنا، أنقل لكم منه بعض الذكريات التي لا تنسى...

قلت أن زيارة تيتو للقاهرة جاءت بعد شهرين من هزيمة 5 يونية ، وكما نعرف جميعا فـإن إسرائيل استطاعت أن تدمر أسلحتنا. وكان لابد من إعادة بناء قواتنا المسـلحة مـن جديـد، وبأسرع وقت ممكن، ليس انقاذا للبلاد فحسب، وإنما إنقاذ لنفوسنا من الداخل, اولا!

ولم يكن أمامنا سوى الاتحاد السوفيتي، ليساعدنا في إعادة تسليح جيشنا مرة أخرى، واتصـل عبد الناصر بالسوفييت. وقدم لهم طلباته، وحدد أنواع الأسلحة المطلوبة.

ووافق الاتحاد السوفيتي ...

وأمر بمد الكوبري الجوي من موسكو إلى القاهرة، لنقل الأسلحة والمعدات الحربية.. بدلا من تلك التي فقدنا خلال حرب يونيو.. وقبل أن ينتهي شهر يوليو قرر السـوفييت وقـف شـحن الأسلحة، اكتفاء بما حصلنا عليه.. وعندما اعترضنا، وطالبنا بمالمزيد، جاء الرد السـوفيتي يقول بالحرف الواحد...

- **لقد أرسلنا لكم أسلحة معقدة جدا، أسلحة تحتاج إلى عـدة سـنوات للتـدريب عليهـا، واستيعابها، وإذا استطعتم استيعابها خلال ثلاث سنوا- فمعنى هذا أنكم تعملون بجديـة، وعلى درجة عالية من الكفاءة، أما إذا نجحتم في اختصار تلك الفترة إلى سنة ونصـف فقط، بدلا من ثلاث سنوات، فمعنى هذا أنكم حققتم معجزة حقيقة"**

- ولم يقتنع قادة قواتنا المسلحة بهذا المنطق السوفيتي...

حقيقة أن السوفيت أرسلوا لنا أسلحة حديثة، ولكن استيعابها وإتقان استخدامها لا يحتاج إلـى سنوات، وإنما تكفي بضعة شهور قليلة. وهذا ما حدث بالفعل. وكل ما فعلناه هو أن مراكـز

التدريب في القوات المسلحة قررت العام بلا توقف ليلا أو نهارا. وألتزم القادة أمامنا بأن تـتم عملية استيعاب الأسلحة خلال 5 شهور فقط.

وأرسلنا إلى موسكو نطالب بالمزيد من الأسلحة، ونؤكد لهم أننا لن نحتاج إلى ثلاث سـنوات لاستيعاب استخدامات أسلحتهم، وإنما سنحتاج إلى 5 شهور فقط لتدريب ضباطنا وجنودنا على استخدام تلك الأسلحة.

ولم يصدق قادة موسكو...

ولم يصلنا ردهم على طلبنا!

في هذا الوقت جاء الرئيس تيتو لزيارتنـا. وعقـدنا جلسـة مباحثـات للوفـدين المصـري واليوغسلافي في قصر رأس التين. وجلس الوفدان وجها لوجـه أمـام مائـدة الاجتماعـات الطويلة. وجلست على يمين جمال عبد الناصر، وأمامنا جلس تيتـو وبـاقي أعضـاء الوفـد اليوغسلافي وبدأ عبد الناصر حديثه، ووضح مدى انفعاله، وشدة غضبه، ممـا يعانيـه مـن السوفيت. وأذكر أنني نظرت إلى يد عبد الناصر، ففوجئت بتغير لونها إلى اللـون الأصـفر. وكنت أعلم أن 5 يونيو لم يتسبب في هزيمتنا فقط، وإنما تسبب- أيضا- في أن ينفلت مرض السكر الذي كان يشكو منه عبد الناصر منذ سنوات، واستطاع بالأدوية والعلاج أن يخضعه " للكنترول" ويعيش حياته الطبيعية معه. ولكن انفلات المرض، بعد 5 يونيـو، وعـدم نجـاح الأدوية في إخضاعه، أدى إلى حدوث مضاعفات خطيرة، وجانبية، أصيب بها عبد الناصر.

أن مريض السكر يستطيع أن يعيش حتى سن الثمانين أو التسعين، مادام أستطاع أن يسـيطر على المرض عن طريق العلاج، والأدوية. ولكن عدم علاج هذا المرض، وعـدم السـيطرة عليه، يؤديان إلى مضاعفات مرضية خطيرة يصعب جدا علاجها، أو الشفاء منها.

لهذا السبب كنت في أشد القلق على عبد الناصر فقد فشل الطب في السـيطرة علـى مـرض السكر، وعلى الرغم من مضاعفة كمية الأنسولين التي كان عبد الناصر يحقـن بهـا يوميـا، واستمر هذا الصراع لبضعة شهور، إلى أن أمكن السيطرة على نسبة السكر في جسـم عبـد الناصر مرة أخرى.

وكنت أخشى على عبد الناصر، وأنا أعلم بمرضه، من شدة الانفعال وهو يتحدث عن همومـه أمام صديقه تيتو في جلسة المباحثات الطويلة التي عقدت في قصر رأس التين. وقـال عبـد الناصر:

- **" لقد أرسل الاتحاد السوفيتي سلاحا تصور أننا لن نستطيع استيعابه قبل ثلاث سنوات. والتقارير أمامي من القادة تؤكد أننا سننتهي من التدريب على هذا السلاح قبـل شـهر نوفمبر القادم.**

- **وقد أرسلت لموسكو أؤكد لهم هذه الحقيقة، وأطالبهم بإرسال المزيد من السلاح مـادام في استطاعتنا استيعابه بمثل هذه السرعة."**

وأضاف عبد الناصر:

- " نحن في أشد الحاجة للسلاح حتى يمكننا إقامة خط دفاعنا على طول القناة من بورسـعيد وحتى السويس.. ولن نستطيع الدفاع **عن أنفسنا، وبالتالي لن يكون في اسـتطاعتنا أن نفكر في القيام بأي عملية عسكرية ضد إسرائيل ما لم** ندعم خط دفاعنا . وهذا ما قلتـه لقادة السوفيت . وجاء ردهم التقليدي يقول:

نعتذر عن الرد لأن جميع قادة الاتحاد السوفيتي سافروا إلى القرم. ومعنى هذا تركنا محلـك سر ولا نعرف ماذا سنفعل خلال الأشهر القادمة!

واشتد انفعال عبد الناصر، وازداد غضبه وهو يقول لتيتو:

-" ارجوك أن تذهب إلى موسكو، فور عودتك إلى بلجراد، وتشرح للسوفيت حقيقة ما سمعته منا، وتقول لهم أننا في أشد الضيق من تصرفاتهم معنا، لدرجة أن تلك المعاملة السيئة أوصلتنا إلى حد أن تسليمنا لإسرائيل أو الولايات المتحدة، سيكون أخف وطأة من معاملـة السـوفيت معنا!"

وبالطبع قال عبد الناصر هذا الكلام لتيتو، نتيجة لمدى الغضـب، والضـيق، مـن الموقـف السوفيتي معنا، ورفضه ارسال المزيد من الأسلحة التي ألححنا في طلبها، ولحظتها أحسست بأن عبد الناصر بذل جهدا خارقا لمنع نفسه من استخدام كلمات أخرى، ضد السوفييت، ضـد أسلوبهم الغريب والمتعب في تعاملهم مع الدول الصديقة.

ولم يتأخر الرئيس تيتو في تحقيق طلبنا...

انتهت زيارته لمصر، وركب طراده" غالب" وعاد به إلى يوغسلافيا، ومن هناك استقل طائرته وطار بها إلى موسكو لمقابلة قادتها، واستمع السوفييت إلى ما قاله لهم تيتو، مؤيدا ما سبق أن أرسله لهم عبد الناصر، ولكنهم لم يفعلوا شيئا إلا بدءا من العام التالي.

أنني أتذكر تلك الواقعة كدليل على نوعية الرئيس تيتو، نوعية الزعيم، والصديق، الذي جاءنا واستمع إلى شكوانا، ثم طار إلى السوفييت وتبنى أمامهم قضيتنا، وتحمس لها، وحاول إقناعهم بها، لولا اعتذارهم التقليدي بأن قادتهم الكرام في القرم!

ولسنا وحدنا الذين عانينا من السوفييت. تيتو نفسه اشتكى لنا مما فعله معه السـوفيت، علـى الرغم من أن يوغسلافيا دولة شيوعية مثل الاتحاد السوفيتي. لقد خاض تيتو معـارك عنيفـة ضد ستالين، لا لشيء إلا لأن تيتو رفض أن يكون تابعا للاتحاد السوفييتي. وصمم علـى أن تقف بلاده على قدم المساواة مع الاتحاد السوفيتي ، بكل عظمته، وقوته، وأسلحته، وهذا ما لم يتقبله ستالين.

ولم يخف تيتو. ولم يتراجع، أو يخضع. بل استمد المزيد من القوة من شعبه الذي وقف مـن خلفه، يؤيده، ويحمي ظهره، ويستمد منه الجرأة والإصرار على نيل الاستقلال.

لقد حاول ستالين الكثير جدا للتخلص من تيتو، وقهره، واستعباد شعبه، دون جـدوى حـاول إثارة القلاقل بين الشعب اليوغسلافي في محاولة لأقصاء تيتو على الحكم، ففشلت المحاولـة، وازداد الشعب التصاقا بقائده، وزعيمه، وبطل الحرب العالمية الثانيـة! ثـم حـاول سـتالين التخلص جسديا من تيتو باتباع أحقر الوسائل، وأكثرها دناءة، ووحشية.

فخطط لعمليات اغتيال تيتو.

وعن تلك المحاولات، حدثنا تيتو بنفسه عنها، في إحدى زياراته لنا في القاهرة. فقال:

- **" لم يترك ستالين وسيلة لاغتيالي إلا وجربها! لدرجة أنه حاول أكثر من مرة أن يـدس لنا السم في الطعام!"**

واذكر أن تيتو روى لنا تفاصيل تلك المحاولة ونحن نجلس معه أمام مائدة العشاء التي أقيمت تكريما له في نادي الضباط بالزمالك، وكنا في بداية ثورة ٢٣ يوليو. واذكر أن تيتـو فاجأنـا بأنه أحضر معه طباخه الخاص الذي يعد له طعاما غير الطعام الـذي قـدمناه لـه. وكنـا- كأعضاء مجلس قيادة الثورة – نجهل مثل هذه الأمور. فلم نكن قد تعودنـا علـى الاحتكـاك بالحكام وبرؤساء الدول. ولذلك فوجئنا بالرئيس تيتو لا يأكل إلا الطعام الذي أعده له طباخـه الخاص، وقدمه له السفرجي اليوغسلافي الذي يقف خلف مقعده!

وشرح لنا تيتو أن ستالين حاول أكثر من مرة أن يدس له السم في الطعام. وعندما اكتشف تلك المحاولات، قرر تيتو إلا يأكل إلا الطعام الذي يعده له الطباخ الخاص الموثوق في إخلاصه.

وقال لنا تيتو أن جميع الحكام والرؤساء يفعلون ما يفعله. فلا أحد يعـرف كيـف يفكـر ، ويخطط، أعداؤه، ونصحنا تيتو بأن نفعل نحن أيضا ما يفعله، وضحكنا يومها من الاقتـراح، ولم نفكر على الإطلاق في أن نخصص لكل واحد منا الطباخ الخاص والسفرجي الخاص.

ولكن... لم يمض وقت طويل إلا واكتشفنا محاولة لوضع السم في طبق جمال عبد الناصر.. فقد نجح أعداؤه في شراء ذمة وضمير جرسون من جرسونات محلات" جروبي" واتفقوا معه على أن يضع السم في طبق جمال عبد الناصر في إحدى الحفلات التي حضرها. وقد اكتشفت الجريمة في آخر لحظة . ومنذ هذا اليوم تقرر أن يأخذ عبد الناصر بنصيحة تيتو. وأصبح لا يأكل إلا من الطعام الذي يعده له طباخه الخاص، وهو ما أفعله أنا أيضا الآن.

نعود إلى تيتو وذكرياته معنا فأقول...

أن ميزة تتيو أنه يفتح قلبه لمن يرتاح إليه. وقد أرتاح لنا تيتو منذ أن تقابلنا معه لأول مرة في بداية عهد الثورة. وقد التقى عبد الناصر بتيتو لأول مرة أثناء عبور تيتو لقناة السويس، وكان قادما من رحلة قام بها لأفريقيا، فتوقف قليلا عند ميناء السويس، حيث زراه جمال، وقامت بينهما صداقة استمرت حتى آخر يوم في حياة جمال عبد الناصر، وامتدت معي حتى آخر يوم في حياة تيتو.

لقد تقابلنا مع تيتو مرات عديدة..

وكما قلت فإن الرجل كان يفتح لنا قلبه دائما، ويحدثنا عن متاعبه، وعـن أحلامـه ، وعـن أفكاره، وعن رأيه فيما يجري حولنا في العالم، واذكر أنه حدثنا طويلا عن بعض خلافاته مع الاتحاد السوفيتي. ومن الطريف أن تيتو كثيرا ما كان يسخر من الشعارات السوفيتية الجوفاء، بتعبير ظريـف يـردده تيتـو دائمـا ويقولـه باللغـة الإنجليزيـة وهـو SOIALISM SOCIALISM. AND NO FOOD.

أي " اشتراكية.. اشتراكية.. ولا طعام!"

أما ماذا كان يقصده تيتو بهذا الكلام، فموعدنا معه في الأسبوع القادم.